

الثلاثاء 29-03-2011

ریڈ آنلائیں واجوب وہیں 1306

مقدمة :

هذا حديث آخر، حديث خفييف ضعيف، أسطح كثيراً من حديث روزاليوسف "المحيط" الذي نشر بتاريخ 26-3-2011، وهنا في نشرة "الإنسان والتطور" بتاريخ 23-3-2011، أما هذا الحديث فقد نشر في مجلة آخر ساعة بتاريخ 23 المارى، وبرغم رأي فيه فقد فضلت نشره أيضاً، لعلى أنعرف على مدى الاختلاف في تلقى أحدادى، وربما على مدى جدية من يتبع اجتهاداتى لتفسير المارى،

هذا، ولـ حديث أـهم في نفس المـوضوع الجـاري سوف يـنشر في جـريدة "الأـخبار" خـلال أـيام وـهو أـعمق الأـحادـيث الـثلاثـة، وـسوف يـنشر هنا أـيضاً في النـشرـة بـمـجـرد صـدـورـه.

شکر،

وَعْذِرْأً

* * * *

= هل هناك أمراض نفسية تنتج عن الثورات .. وهل الأمراض المختلفة في نوعيتها في حالة نجاح الثورات من عدمه؟

أنا لا وافق على تسطيح مثل هذه الخبرات الجماعية الرائعة على مسار الشعوب إلى لغة المرض النفسي والتفسيرات النفسية، هذا تشويه لحركة الوعي الجماعي، وهو لا يمثل أية إضافة علمية، ماذا يفيد إذا قلنا أن الاكتئاب يزيد، أو أن القلق ينبع، إن مهمة العلم والمعرفة هو استيعاب نتاج الثورة للإسهام في ضمان دفع إيجابياتها ، والخليولة دون تشويه نتائجاً، ودون أن يستولى عليها غير أهلها لغير صالح من قام بها.

= هل انتشار المظاهرات والمطالبات الفئوية نوع من التأثيرات النفسية للمظاهرات .. وهل يمكن اعتبار ذلك تنفيسا عن غضب وكتب ظل حبيسا لفترة طويلة ثم وجد طريقه للظهور؟

المـسـأـلة لـيـسـتـ مجردـ تـنـفيـثـ عنـ غـضـبـ، أوـ كـيـتـ لـفـتـةـ طـوـيـلـةـ، مـثـلـ هـذـهـ الـاـنـتـفـاضـاتـ الرـائـعـةـ هيـ نـوعـ منـ الإـبـداـعـ لـتـشـكـيلـ ماـ ظـلـ يـتـاـكـمـ كـامـنـاـ دـاخـلـنـاـ، وـدـاخـلـ الشـيـابـ خـاصـةـ، وـهـوـ يـسـتـعـدـ لـلـانـطـلـاقـ أـمـلـاـ فيـ تـغـيـرـ لـصـاحـبـ نـاسـ يـسـتـحقـونـ ذـلـكـ نـتـيـجـةـ لـصـبـرـهـمـ طـوـيـلـاـ، إـنـيـ أـرـفـضـ أـنـ يـسـمـىـ أوـ يـوـصـفـ مـثـلـ هـذـاـ الفـعـلـ العـمـلـقـ بـلـغـةـ نـفـسـيـةـ خـتـلـةـ، حـتـىـ لـوـ قـيـلـ إـنـهاـ عـلـمـيـةـ

= هلـ خـتـاجـ اـجـتمـعـاتـ بـشـكـلـ عـامـ بـعـدـ التـحـورـاتـ لـنـوعـ مـنـ التـأـهـيلـ النـفـسـيـ.. وـمـاـ هـيـ كـيـفـيـتـهـ وـطـرـقـهـ وـهـلـ هـنـاكـ مـدـىـ زـمـنـ لـاستـكـمالـ هـذـاـ التـأـهـيلـ؟

تـأـهـيلـ نـفـسـيـ مـاـذـاـ يـاـ اـبـنـىـ؟ وـهـلـ خـنـ اـسـتـطـعـنـاـ أـنـ نـؤـهـلـ مـرـضـانـاـ كـمـاـ يـنـبـغـيـ لـاـ يـنـبـغـيـ، حـتـىـ نـؤـهـلـ جـمـعـاـ بـأـكـمـلـهـ، خـنـ نـتـعـلـمـ مـنـ هـؤـلـاءـ الشـيـابـ التـأـهـيـ لـوـغـرـ التـأـهـيلـ إـنـ مـاـ خـتـاجـهـ، حـتـىـ وـخـنـ أـطـبـاءـ هـوـ أـنـ نـؤـهـلـ أـنـفـسـنـاـ قـبـلـهـمـ، صـحـيـحـ أـنـناـ مـسـنـوـلـونـ، لـكـنـ أـرـفـضـ حـشـرـ الـأـمـرـ طـوـلـ الـوقـتـ فـ وـصـفـ يـبـدوـ عـلـمـيـاـ بـجـرـدـ تـفـرـقـةـ تـعـسـفـيـةـ لـاـ مـاـ هـوـ نـفـسـيـ عـنـ مـاـ هـوـ غـيرـ نـفـسـيـ،

هـذـهـ الجـرـعـةـ الرـائـعـةـ مـنـ الإـبـداـعـ الثـورـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـتـعـهـدـهـاـ بـالـعـمـلـ، وـالـأـنـتـاجـ، وـالـإـبـداـعـ، فـورـاـ وـدـائـمـاـ، هـذـاـ هوـ كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ،

أـرـجـوـ أـنـ يـوـضـعـ دـورـ التـفـسـيـرـاتـ النـفـسـيـةـ فـ مـوـضـعـهـاـ المـتـواـضـعـ قـاماـ.

= بـالـتـطـبـيقـ عـلـىـ ثـورـةـ شـيـابـ مـصـرـ.. هـلـ هـنـاكـ ظـواـهـرـ نـفـسـيـةـ ظـهـرـتـ بـعـدـهـاـ وـمـاـ أـسـبـاهـاـ وـمـاـ الـطـرـقـ الـعـلـمـيـةـ لـعـلاـجـهـاـ؟

طـبـعاـ تـوـجـدـ ظـواـهـرـ نـفـسـيـةـ، لـكـنـهاـ لـيـسـتـ بـالـضـوـرـةـ أـمـراـضاـ، وـلـاـ هـيـ كـلـهـاـ إـيجـابـيـةـ، لـقـدـ نـبـهـتـ فـ أـكـثـرـ مـنـ مـوـقـعـ أـنـ اـسـتـمـارـ الـظـاهـرـ بـنـفـسـ الـطـرـيقـةـ، وـالـإـصـرـارـ عـلـىـ الـمـطـالـبـ بـنـفـسـ الـمـطـالـبـ، قـدـ يـقـلـلـ مـنـ خـدـةـ الـانـدـفـاعـةـ الـثـورـيـةـ وـيـجـولـهـاـ إـلـىـ تـقـلـصـ مـتـجمـدـ، وـهـذـاـ ضـدـ قـوـانـينـ الـحـيـاـةـ الـتـىـ تـسـرـ بـإـيـقـاعـ حـيـويـ منـظـمـ مـثـلـ اـخـتـلـافـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ، وـمـثـلـ نـبـضـاتـ الـقـلـبـ الـمـنـظـمـةـ، لـابـدـ بـعـدـ دـفـعـ الـقـلـبـ لـلـدـمـ مـنـ التـمـددـ لـلـامـتـلـاءـ بـدـمـ جـديـدـ، هـذـهـ ظـاهـرـةـ نـفـسـيـةـ بـيـولـوـجـيـةـ حـيـاتـيـةـ، وـهـيـ كـلـ مـاـ يـهـمـنـيـ التـأـكـيدـ عـلـيـهـ

= هـلـ يـكـنـنـاـ اـعـتـبـارـ أـعـمـالـ الـبـلـطـجـةـ وـالـسـرـقـاتـ وـالـخـائـقـاتـ نـوعـاـ مـنـ التـأـيـرـ النـفـسـيـ؟

تـأـيـرـ نـفـسـيـ مـاـذـاـ بـالـلـهـ عـلـيـكـ؟

لـمـاـذـاـ هـذـاـ خـلـطـ بـيـنـ الـإـجـرامـ، وـالـأـخـلـاقـ، وـالـتـعـظـيمـ، وـبـيـنـ مـاـ يـسـمـىـ تـأـيـرـ نـفـسـيـ،

الـبـلـطـجـةـ بـلـطـجـةـ لـاـ أـكـثـرـ وـلـاـ أـقـلـ

= فـ رـأـيـكـمـ هـلـ مـجـتـاجـ جـهـازـ الشـرـطـةـ لـدـيـنـاـ إـلـىـ تـأـهـيلـ نـفـسـيـ بـعـدـمـاـ حـدـثـ مـنـ انـفـلـاتـ أـمـيـ وـالـصـرـاعـ الرـهـيـبـ بـيـنـ الشـعـبـ وـكـلـ مـاـ هـوـ شـرـطـ؟

أى جهاز تتضمن وظيفته الاحتكاك بالناس، خدمتهم، أو لتأمينهم، أو لتسهيل مصالحهم، يحتاج إلى تأهيل نفسي، وأرى أن ما حدث بين الشعب وبين الشرطة ليس خطأ الشرطة ولا هو انتقام الشعب، وإنما هو خطأ النظام الذي استعمل الشرطة كعصا لقهر وقمع الناس بالحق والباطل، حتى تشوّهت الصورة دون وجه حق في كثير من الأحيان،

لا بد من الاعتراف أن كثريين من رجال الشرطة كانوا وما زالوا يقومون بدور إيجابي مهم جداً في تشكيل كيان الدولة وبيتها، وهو أمر ضروري لا غنى عنه في الحياة المدنية المعاصرة، وهو ليس من مهمة الجيش إطلاقاً إلا بشكل استثنائي، ولفترات محدودة تماماً.

= هل هناك أسباب نفسية دفعت الشعب خاصة الشباب للثورة على نظام مبارك.. وهل لفترة الحكم الطويلة كان لها تأثير في تصاعد هذه التأثيرات ووصولها إلى الذروة؟

لا شك أن عدم تغيير الوجوه، وعدم تداول السلطة، وعدم وجود قنوات حقيقية للتواصل بين المحاكم وبين الناس، كل ذلك يمكن وراء التمادي في الخطأ من ناحية السلطة، والتمادي في اليأس من ناحية الناس، وبالتالي كان لا بد لهذا المصير أن ينفي، وهذه التراكم أن ينفجر، وهذا ما كان،

بقي أن ننتبه ليس فقط إلى العودة سريعاً إلى العمل والإنتاج، وإنما إلى التعلم من الأخطاء السابقة بتغيير جوهري للأسس التي سوف تتبعها المؤسسات المختلفة وختن بنى الدولة من جديد.

= في رأيكم ما أبرز المسببات النفسية التي تجعل من جلس طويلاً في السلطة إلى التمسك الرهيب بها وهل هذه الأسباب وراء ما يحدث في ليبيا حالياً وحدث من قبل في مصر وتونس؟

لقد شرح غريب مخفي حفظ أسس فكرة وهم الخلود وزيفها وخطورها على من يتورّم أنها ممكنة ، وورد هذا في ملحمة الحرافيش بما هو أفضل مائة مرة من تفسير أي طبيب نفسي،

إن إنكار حقيقة الموت في داخل داخل من يتولى السلطة تجعله يعيش وهو ضد الطبيعة بل ضد نفسه، لقد حظر الساحر "شاور": جلال صاحب الجلة في ملحمة الحرافيش من فلاد الخلود حين قال له "سوف تتمني الموت فلا يأتي، وسوف تتغير الوجوه جيلاً بعد جيل وأنت باق" ، فأظهر كيف أن وهم الخلود هو شذوذ أشد من الجنون، وقد بين غريب حفظ ذلك بشكل رائع، وهو ما تناولته في نصيحته الملحمة مستلهمًا حفظ أكثر من الرجوع إلى أسس علم النفس أو الطب النفسي

= هل هناك ظواهر للمرض النفسي تصيب الرؤساء بعد التنجي الناتج عن الثورات.. وهل مختلف هذه الظواهر عن الأعراض المماثلة في حالة التنجي الطبيعي أي بعد انتهاء المدة مثل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها؟

إن من تعود على السمع والطاعة، ومن ظل يحكم ولا يُسأل، ويعين ولا يستشير، حين يجد نفسه بلا حول ولا قوة لا بد أن يصاب بالإحباط بشكل توقف أشكاله وجذنخ على مدى صلابته، وقدرتها على التعويض، وعلاقتها بقيم الحياة الحقيقية، وعلاقتها بربنا وبالملوت، لهذا فأنا أرى أن خدید مدد الرئاسة هو من صالح الرئيس نفسه مثل صالح الناس، وفن نسمع عن كارتز وهو يزرع الفول السوداني في مزرعته، أو عن كلينتون وهو يعزف ويكتب، ولا نعرف في عالمنا العربي ماذا يفعل الرؤساء الذين انتهت مدة خدمتهم، ناهيك عن مدة صلاحيتهم

- بوصفك من علامات لطب النفسي في مصر والعالم العربي.. هل يمكن أن تقرب لنا الحالة النفسية الحالية للرئيس مبارك وزوجته وابنه الذي كان موعوداً بالتوريث وكان على مقربة قوسين منه؟

لقد رفضت ذلك تماماً لأسباب علمية وأخلاقية معاً، أما الأسباب العلمية فليس تحت يدي معلومات موثقة من مصادر مختلفة تسمح لي بمثل ذلك، أما الأسباب الأخلاقية فإن مثل هذه التفسيرات العشوائية غالباً تكون سلبية ، وهذا لا يجوز أن يتم بهمولة في حالات ضعف من جرى عليهم التشريح وهم بعد أحياً يتأملون تحت زعم أننا ندرس ما تبقى من أعضائهم،

لقد كتبت في أكثر مناسبة خطابات مفتوحة ، نشرت في الوفد تباعاً، في ثلاثة مناسبات (عاولة الاغتيال في أديس أبابا، وحادث مقتل السواح في القصر والترشح للرئاسة للمرة الرابعة) وقلت للرئيس فيهارأي فيه وفيما يجري، وحضرته من أخطاء سارية منه ومن حوله بشكل مباشر وغير مباشر، وكان ذلك في عز سلطانه،

أما بعد أن جرى فإنه يصبح من حسن الخلق، ودقة العلم وأمانته، أن ننتظر أحكام المحاكم، وأن نختتم مشاعر البشر بما بلغت أخطاؤهم حق تثبت إدانتهم، و ساعتها قد لا تحتاج إلى تفسيرات نفسية تعسفية.

- بصفتكم من الشخصيات العامة المثقفة ذات التأثير في المجتمع المصري.. هل ترون النظام البرلاني أم الرئاسي مناسباً للوضع في مصر الآن؟

رئاسي ! برلاني! ليست هذه هي القضية، لأن شعبنا يجول رئيسه ملكاً أو فرعوناً تحت أي اسم، المهم ممارسة العدل، بشكل مطلق، ومتابعة الأداء بنقد قوى، وردع المخالف أولاً بأول ، وفي وقت باكر جداً حتى لا يتمادي في أخطائه أو جرائمه، سواء كان رئيس دولة أم أمين شرطة أم أستاذًا في جامعة .

- وهل الشعب المصري بعد ثورة يوليو مؤهل نفسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً للتواكب مع النظام البرلاني؟

أول خطوة إيجابية كانت الانتخاب بالرقم القومي، وفي أول جنة دون خديد، ولكنها تصيح خطوة بلا جدوى لو لم يكملها نظام الانتخاب بالقائمة، لأن الانتخاب بالقائمة يقلل حتى يلغى أن يتم الانتخاب على أساس المصالح الشخصية، أو التحيزات العائلية، أو النعرة القبلية،

إن لم يتم الانتخاب بالقائمة، فسوف تضيع كل مكاسب هذه الثورة، حتى أني اقترحت على المستقلين أن تتفق كل مجموعة منهم على مبادئ ما، ويتقدمون بقائمة لها برنامج مختصر، ولو عشرة عشرة، أما استمرار النظام البرلاني القديم، وكذبة الـ 50% للعمال والفلاحين، فهي نكسة بكل معنى الكلمة.

= سمعنا عن تعبير الثورة المضادة .. هل هناك أسباب نفسية لها ومن هم أبطالها ما الطرق النفسية السليمة للتغلب عليها؟

لا ينبغي أن نسمى الخونة واللصوص باسم الثوار، إن من لا ينتهي إلى هذا البلد ، ومن يجول دون تحقيق مصالح الناس، ومن يسرق أموال الشعب ليس ثائرا مضادا بل هو خائن أو مجرم لا أكثر ولا أقل

أما أن نقاوم الثورة المضادة بالطرق النفسية فهذا أقرب إلى النكتة ولا مؤاخذه

= لاحظنا عزوفا من قبل جانب كبير من الشعب المصري عن المشاركة السياسية مثل الانتخابات

إن من شارك يوم السبت الماضي في استفتاء التعديلات الدستورية، بغض النظر عن النتيجة، سوف يعرف أن هذه الملاحظة الحق وردت في السؤال أصبحت ماض لا وجود له الآن ،

إن أي إنسان يحترم نفسه لا يمكن أن يشارك في نشاط سياسي أو غير سياسي إذا لم يكن لدوره في هذه المشاركة تأثير حقيقي، حين يعرف الناخب النتيجة مقدما طول الوقت لمدة ستين عاما ، ما الذي يدفعه أن يذهب للإدلاء بصوته أصلا ؟

المهم أنا لست واثقا أن ما حدث يوم الاستفتاء من إيجابيات رائعة يمكن أن يتدلى إلى انتخابات مجلس الشعب، ما لم يتم الانتخاب بالقائمة

البرلانية والاستفتاءات وغيرها .. هل تتوقع تغييرا نفسيا ما يدفع المواطنين للمشاركة بعد ثورة الشباب؟

التغيير حدث فعلا، وظهرت آثاره واضحة في استفتاء التعديلات، لكنه ليس بالضرورة تغييرا نفسيا كما جاء في السؤال

= في رأيكم لماذا نبعت الثورة من فئة الشباب هل يرجع ذلك للخصائص السنوية لتلك المرحلة؟

أولاً الشباب ليس مجرد السن المدرج في شهادة الميلاد ، الشباب يتحدد بالقدرة على الحفاظ على الدهشة ، والقدرة على التغير ، وزخم حرکية الإبداع ، والحفاظ على الأمل ، وكل هذا مفروض أن يتواجد في السن الأصغر ، لكنني أعرف شبابا لا يمتعون بأى من ذلك ، وفي نفس الوقت أعرف شيوخا هم في غاية الشباب.

= احتار الكثيرون في التحليل النفسي لشخصية الزعيم الليبي معمر القذافي.. البعض يصفه بجنون العظمة فهل ذلك صحيح من الناحية العلمية وما تفسيرك النفسي لهذه الشخصية .. وما توقعاتكم كعلم نفس في كيفية تصرفه حال نجاح الثورة ضد؟

مرة أخرى أنا أرفض أن ننعت الرؤساء القتلة ، أو الساسة الجرمن الذين يعلنون الخروب الاستباقي ، وينبرون طرد الناس من أراضيهم ومن بيوبقهم ، ويقتلون البريء بغير وجه حق ، أرفض أن ينعتوا باسم أي مرض نفسي مهما بلغ شذوذهم ، إن رمضاننا أطيب وارحم وأرق من كل هؤلاء ، واحتزال جرائم هؤلاء الجرمن إلى اسم مرض نفسي يثير شبهة إعفائهم من المسؤولية ، كما قد يبرر سلوكهم بغير وجه حق .

هذا مجرم طاغ قاتل ينبغي أن يأخذ جزاءه من شعبه ، أو من القضاء مهما بلغ شذوذه ، لا أكثر ولا أقل.